
مصر
أم الحضارة
على إسلام



مصر أم الحضارة

علي أسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين . الذى غمرنى بفضله واحسانه واسبغ على وافر النعم . فثبت ايمانى وعمقه فاطمان قلبى فلا اخشى لقاء ربى بل أتوق الى اجتلاء نور وجهه الكريم . واحظى بعفوه وغفرانه العميم . شاكراً ما انعم به على عبده من نعمة الصحة والعافية بعد الايمان فمد فى عمرى حتى بلغت الثمانين . ووهبنى قلبا لا يعرف الكره بل يغمره الحب للأهل والوطن بل للانسانية جميعا . وبارك فى رزقى فكان حلالا طيبا كافيا وافيا فلك سبحانك الحمد والشكر اللهم اهدنى الصراط المستقيم ووفقنى لما فيه رضاك يارب العالمين.

بنى سويف : ١١ مارس سنة ١٩٧٣

مصر أم الحضارة

كانت بمصر حضارة شملت الدلتا والصعيد فى عصور مبكرة وقبل التاريخ بآلاف السنين حوالى اكثر من ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث انتشرت بالوجهين امارات متعددة يحكمها زعماء حارب بعضهم البعض احقابا . وتمكن اقواهم من توحيد ارض الدلتا . كما وحد امير آخر الصعيد وامكن امير الدلتا التغلب على مصر العليا سنة ٣٤٠٠ ق.م ولكن لم يستقر ذلك التوحيد وعاد كل من الوجهين يخضع لحكم الامراء الى ان امكن نعرمر او مينا امير الصعيد ان يبسط نفوذه ويوحد الوجهين حوالى سنة ٣٢٠٠ ق.م . وبدات حينذاك الأسرات التى تولت حكم مصر المستقلة اجيالا واجيالا .

ظل الملك نعرمر يتنقل بين عاصمته فى الجنوب وبلاد الشمال وكذلك فعل غيره من الملوك الذين وضعوا على رأسهم التاجين واخضعوا مصر كلها لحكمهم وسلطانهم . ولما أنشا نعرمر بلدة القلعة البيضاء فى الشمال وهى التى سماها المصريون فيما بعد منف كانت عاصمتهم الجديدة المختارة اذ تقع عند التقاء الدلتا بالصعيد وهذا الموقع انسب ما يكون لمقر حكم القطرين . وبدا عندئذ دفن الملوك فى سقارة واقيمت مقابر او مصاطب مدرجة لهذا الفرض وهى التى تطورت تدريجا الى الاهرامات العظمى .

أخذ ملوك الاسرتين الاولى والثانية فى اقامة بعض المعابد فى الدلتا كما وقعت مناوشات وحروب بينهم وبين جيرانهم فى الجنوب

وايضا فى النوبة وليبيا لتامين الحدود وتسهيل التجارة بين مصر والسودان وتلك البلاد . كما اهتموا باستغلال المناجم ومنها الغنية بالذهب وتمهيد دروب الصحراء المؤدية الى البحر الاحمر .

وكانت مصر قد وصلت الى حد غير قليل من التقدم والابداع فى الانتاج الفنى وغير الفنى فى ذلك العصر . من ذلك ان الملك «عج . اب» أمر بعمل احصاء شامل فى البلاد كان يتكرر كل عامين .

جاء زوسر اول ملوك الأسرة الثالثة عام ٢٧٨٠ ق.م وكان **ملكا** حازما قويا ذكيا قام بالكثير من الاعمال الهامة المجيدة بمعاونة وزيره الأول وساعده الايمن « ايمحوتب » .

كان الملوك يدفنون فى قبور على هيئة مصاطب لا تمتاز فى شكلها عن قبور رعاياهم الا بعظم حجمها وكانت تبنى من الطوب اللبن . عدا حجرة الدفن فتبنى بالحجر . وشرع ايمحوتب فى بناء قبر الملك زوسر فى جبانة العاصمة الشمالية « سقارة » **وصممه على أن يكون** افخم واعظم مما بنى قبله من قبور للملوك السابقين وان يبنى بكتل من الحجر لا من اللبن وان يكون المدفن من حجر الجرانيت فاخذ يبنى مصطبة فوق اخرى تقل العليا فى الحجم عن التى تحتها فأصبح الشكل النهائى للقبر هرما مدرجا ذا ست درجات فكان ايمحوتب بذلك اول مهندس مصرى معمارى شيد قبرا للملك يشبه الهرم فى شكله العام واول من شاد مثل هذا العمل الضخم بالحجر لا باللبن .

نقل زوسر عاصمة الملك نهائيا من الصعيد الى الشمال فى منف التى بقيت عاصمة الديار المصرية طوال آلاف السنين تحت حكم فراعنة مصر ومن جاء بعدهم أو معهم من الغزاة كالهكسوس والفرس والاغريق والرومان حتى جاء العرب فاقاموا عاصمتهم الفسطاط عند التقاء الوجهين ايضا وظلت كذلك الى ان اقام العباسيون مدينة العسكر فى القرن الثامن الميلادى الثانى الهجرى . كما اقام

احمد بن طولون بعد ذلك باكثر من قرن القطائع فى نفس المنطقة ولما جاء الفاطميون سنة ٣٥٨ هـ انشأ قائدهم جوهر القاهرة فى موقعها الذى يتوسط الوجهين البحرى والقبلى وهكذا ظلت عاصمة مصر الفرعونيــة منف ومنطقتها هى مقر الحكم فى هــذا الوادى الخصيب الذى وصفه هيرودت من ٢٥ قرنا بانه هبة النيل .

عرف زوسر قدر مهندسه ايمحوتب فكرمه واراد ان يخلده معه فسمح بان يكتب اسمه على تماثيله وهذا تقدير كريم لم يسبق له مثيل . وكان ايمحوتب نابغا ظهرت عبقريته فى اكثر من ميدان فقد نبغ ايضا فى الطب والف فيه والف فى الحكمة لذا عبده المصريون بعد قرون عديدة من وفاته واقاموا له المعابد سيما فى القرن السادس ق.م عندما احتل الفرس مصر .

كان الملك حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة وقيل انه بدا بناء هرم ميدوم الذى اتمه الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة « ٢٦٨٠ » ق.م .

تزوج سنفرو من الأميرة حتب حرس التى تحمــل فى دمها حق وراثة العرش ومن دراسة حجر بالرمو تعرف الكثير عن نشاط الملك سنفرو وما بناه من قصور ومعابد وما استورده من خشب الارز من لبنان لحاجة مصر اليه . وحملته الشهيرة على حدود مصر الجنوبية لحماية البلاد من الاغارة عليها وما غنمه من مغــانم شملت الجنود والانعام وامتد نشاطه الى استغلال المناجم فى شبه جزيرة ســيناء وبدات فى مصر نهضة عامة وتقدم ظاهر فى الحياة الاجتماعية والفنية بوجه عام .

شيد الملك سنفرو قبره فى دهشــور على ان يكون هرما كاملا واعظم مما شــيد قبله من مقابر للملوك وبلغ ارتفاعه اكثر من ٤٨ مترا . وعنــد ذلك تغير التصميم الأول وارتفعوا بالبناء الى مائة

متر ومتر فصار كانه هرم كامل فوق هرم ناقص اما طول ضلع قاعدته المربعة فهو ١٨٨ مترا وكانت هذه أول محاولة من المصريين لبناء هرم كامل تبعها اقامة هرم آخر لسنفرو على بعد كيلو مترين من هرمه الأول بلغ ارتفاعه ٩٩ مترا وطول كل ضلع من اضلاعه ٢٢٠ مترا وكان بذلك اول هرم حقيقى اقامه ملوك مصر كما اقيمت بعض المعابد فى المنطقة وانتشرت ايضا مقابر مختلفة للاسرة الملكية والكهنة وكبار رجال البلاط والحكام وتقدم فن المعمار والزخرفة تقدما عظيما وازدهرت صناعة المصاغ من الذهب والاحجار الكريمة ازدهارا لم يسبق له مثيل بل لم يتفوق عليه مدى قرون كثيرة جاء بعد هذا العصر الحافل بمظاهر الرقى والتقدم والازدهار وبالمتحف المصرى بالقاهرة الكثير من تلك الكنوز الرائعة .

كان سنفرو محبا لرعيته محبوبا منها عطوفا رحيما مصلحا كبيرا وبعد أن حكم نحو ربع قرن ترك الحكم لابنه خوفو الذى تولاه بحزم وعزم آخذا عن ابيه محبة الشعب والتفانى فى خدمة بلاده ورفع شأنها مستمرا فى سياسة الاصلاح والتعمير والانتاج الوفير وتشجيع المجدين المجتهدين فى شتى الميادين من رعيته المخلصين لمليكهم الملتفين حول عرشه المتين فازدهرت ونمت التجارة الخارجية والداخلية ونعم الناس برغد العيش وراحة البال .

هرم خوفو أو الهرم الأكبر

أمر الملك خوفو مهندسيه ببناء هرمه او مدفنه ومقره الأخير بهضبة الجيزة على ان يكون اعظم ما شيد فى العالم من بناء هرمى او غير هرمى الشكل . وبذل المهندسون اقصى ما استطاعوا من خبرة اكتسبوها مما سبق ان شيدوه من اهرام ومعابد للملك سنفرو العظيم فكان لخوفو ما اراد . واقيم هرمه الأعظم احد عجائب الدنيا والباقى على الزمن على مساحة ثلاثة عشر فدانا وبلغ ارتفاعه

١٤٦ مترا . وطول ضلع قاعدته ٢٣٠ مترا واستعمل فى بنائه ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ كتلة من الحجر يزيد وزن بعضها عن ثمانية أطنان ويقل وزن العلوى عن طن واحد .

سيرى المرء عجبا اذا زار داخل الهرم واتخذ طريقه فى تلك الطرقات القليلة الارتفاع ثم وجد نفسه فى تلك الردهة المرتفعة ووقف أخيرا يتطلع الى تابوت الملك خوفو فى حجرة الدفن .

استغرق بناء هذا الهرم الشامخ العظيم عشرات السنين واشتغل فى اقامته آلاف عديدة من العمال الذين كانوا يعملون مدة الفيضان عندما يغمر الماء ارض الوادى فتنتهز هذه الفرصة فى تشييد الهرم .

سمح خوفو بأن تشيد مقابر المقربين من أهله ورجال بلاطه وكبار موظفيه على مقربة من هرمه ليكونوا حوله فى الحياة الأخرى كما كانوا حوله فى هذه الدنيا .

نشب نزاع شديد على العرش فى أفراد الأسرة المالكة بعد وفاة خوفو الى أن ظفر أحد ابنائه خفرع بارتقاء عرش أبيه بعد نحو ٨ سنوات من وفاته وقد طالت مدة حكمه الى ما يقرب من ١/٤ قرن بل ربما أكثر .

اختار خفرع لبناء هرمه ربوة خلف هرم ابيه ولا شك فى أن مجموعة خفرع الهرمية من أعظم ما تم عمله من مبان فى الدولة القديمة ولكن يلاحظ ان مهندسيه وصناعه لم يصلوا الى ما وصل اليه زملاؤهم فى عهد خوفو من اتقان .

لا يقل هرم خفرع الا امتارا قليلة عن هرم ابيه اما داخله فبسيط اذا ما قورن بالهرم الأكبر كما بنى بعض المعابد كما هى العادة .

وصل فن النحت الى قمته فى عهد خفرع ولا يمكن أن يذكر

الانسان منطقة أهرام الجيزة الا ويعجب بتمثال ابو الهول ذلك الأثر العظيم الرابض على حافة الصحراء وقد تضاربت الآراء قديما حوله ولكن ثبت اخيرا ان هذا التمثال وهو على هيئة اسد رابض وله راس انسان ما هو الا تمثال للملك خفرع صاحب الهرم الثانى .

اضطربت الأمور وقام نزاع عنيف على من يتولى الحكم بعد خفرع الى ان ارتقى عرش البلاد الملك منكاورع حفيد خوفو وابن الملك خفرع وقد حكم اكثر من ٢١ سنة بل قيل انه حكم ٢٨ سنة. ورغم ذلك الحكم الطويل فان منكاورع لم يتمم هرمـــه الذى امر بتشييده فى صدر حكمه فاتمه ابنه الملك شيبسكاف وهرم منكاورع اقل أهمية من هرمى ابيه وجده اذ لا يتجاوز ارتفاعه ٦٦ مترا وطول ضلع قاعدته ١٠٨ أمتار كما بنيت بعض المعابد .

حكمت الأسرة الأولى من سنة ٣٢٠٠ الى سنة ٢٩٨٠ والأسرة الثانية من سنة ٢٩٨٠ الى سنة ٢٧٨٠ . اما الاسرة الثالثة واولها الملك زوسر فقـــد حكمت مائة سنة كاملة انتهت سنة ٢٦٨٠ ق.م حيث حكم سنفرو اول الأسرة الرابعة او اسرة بناة الاهرام التى امتد حكمها الى سنة ٢٥٦٠ وكان شيبسكاف احد ملوك هذه الاسرة قد تحول فى بناء قبره من شكل هرم الى شكل تابوت كبير بلغ حجمه (١٠٠ م × ٧٢ م وارتفاع ١٨ مترا) وهو المعروف باسم مصطبة فرعون فى سقارة القبلية .

استمر ملوك مصر يتعاقبون على عرش البلاد وفق نظام دقيق وكان يتخلل ذلك نزاع وثورات تنتهى بتغلب الاقوى من المتنازعين وارتقائه العرش وكان الخلاف داخليا بين الطامعين فى الحـــكم والسلطان من اهل الوطن الواحد الى ان تسلل الهكسوس الرعاة خلال القرن الثامن عشر ق . م . الى بعض نواح من الدلتا لمجـــرد الرعى والاستيطان السلمى فلما كثر عـــددهم واشتد ساعدهم

اختاروا لهم زعيما طمع خلفاؤه آخر الأمر فى الملك والسيطرة حتى تحرش احدهم بالملك سقننرع احد ملوك الأسرة السابعة عشرة فى الصعيد وارسل له رسولا يهـدده بأن يسكت تماسيحه وافراس البحر التى طرفه حتى لا تقلق راحة ملك الهكسوس فى الدلتا وكان جواب سقننرع الحرب التى فقد حياته ابانها ثم حمل الراية من بعـده ابنه البطل كامس الذى قتل أيضا فى احـدى المعارك مع الهكسوس الى أن جاء دور أخيه الأصغر احمس الذى تولى الملك سنة ١٥٧٠ ق.م والذى انتصر وطرد هؤلاء الطغاة من البلاد وحطم جيشهم وطارده الى فلسطين وعاد بذلك الانتصار الى مصر استقلالها التام عام ١٥٦٧ بل اتجه بعض ملوكها الى الفتح والاستعمار فكان لها امبراطورية عظيمة امتدت من الفرات شمالا الى الشلال الرابع جنوبا وساهم الملك تحوتمس الأول (١٥٢٥ ــ ١٤٩٥ ق.م) مساهمة تذكر فى اقامة صرح الامبراطورية المصرية . وامتد نفوذ مصر الى شمال السودان والى النوبة جنوبا والى آسيا حتى وصل الى نهر الفرات .

اهتم تحوتمس الأول كمن سبقه من ملوك مصر باقامة المعابد فى طول البلاد وعرضها فى الجنوب والشمال وعم الرخاء الامبراطورية المصرية طوال حكم هذا الملك العادل المصلح المقدام وخلفه على العرش تحوتمس الثانى الذى تزوج من أخته حتشبسوت الطموحة الشابة قوية العزيمة وكثيرا ما قام خلاف على السلطة بينها وبين شريكها فى الحكم اخيها الملك تحتمس الثانى مما ادى الى قيام ثورة فى شمال السودان وعصيان آخر فى سوريا وأمكن اخماد الثورتين واستتباب الأمور .

لم يعرف بالضبط مدة حكم الملك تحوتمس الثانى مع اختـه حتشبسوت والمرجح انها لم تتجاوز بضع سنين ربما خمسا أو نحو ذلك . وخلفه على العرش ابنه تحوتمس الثالث الذى تزوج بدوره

من الملكة حتشبسوت واستمر النزاع بين الملك والملكة كما كان فى عهد أبيه تحوتمس الثانى لحب حتشبسوت السيطرة والاستئثار بالحكم فكان الصراع عنيفا بينها وبين الملك الشـــاب العبقرى قوى العزيمة راجح العقل .

أقامت الملكة معبد الدير البحرى الذى أشرف على هندسته وبنائه المهندس سنموت ويرى على جدران معبد الدير البحـرى ومعبد الكرنك الكثير عن قصة هذه الملكة الجبارة ومن اهم واجمل النقوش التى على جدران هذه المعابد مناظر البعثة البحرية التى ارسلتها الى بلاد پونت لتجلب البخور وغيره الى مصر ولتنقل بعض الأشجار لزرعها فى معبدها .

لا جدال فى انها كانت ملكة قديرة حكمت البلاد بحزم متجاهلة شريكيها فى الحكم تحتمس الثانى وتحتمس الثالث مما أثار العداء بينهما وبينها ولا يعرف بالضبط حتى الآن كيف انتهت حيـــاة حتشبسوت ، كما أنه لم يعثر على جسمانها فى اى من مقبرتيها فى طيبة ولا فى الدير البحرى .

أخذ تحتمس الثالث بعد انفراده بالحكم بعد ان حكم مشتركا مع حتشبسوت اربع سنوات يحطم ويزيل جميع ما يمكن تحطيمه وازالته من آثار تلك الشريكة المشاكسة الجبارة ولم يعترف بهـذه المشاركة فى الحكم فكان يؤرخ حكمـه من سنة ١٤٩٠ ق.م وطال حكمه الى ان مات سنة ١٤٣٦ . وكانت حملته على مجـدو التى حاصرها شهورا سبعة والتى تجمع بها رجال ثلثمائة وثلاثين زعيما من سوريا وفلسطين فاتحة انتصاراته العظيمة المتتالية وغنم مغانم كثيرة قيمة تدل على غنى وثراء ورفاهية تلك البلاد وهؤلاء الزعماء .

تكررت حملاته وفتوحاته فبلغت ست عشرة حملة كان يقوم بها عند اقبال الصيف ويعود الى مصر فى الشتاء ليشرف على اصلاحات البلاد وما أمر به من مبان أو معابد .

كانت قادش حصينة منيعة صمدت لهجوم تحتمس اكثر من مرة الى ان تمكن من قهرها والاستيلاء عليها فى حملته السادسة فى السنة الحادية والثلاثين من حكمه .

استرعى نظر مملكة ميتانى وكذلك خيتا توالى انتصارات مصر بزعامة ملكها العظيم تحتمس الثالث فتباروا فى التودد اليه واكثروا من هداياهم المختلفة القيمة وهذا ما فعلته ايضا آشور وبابل وامتد بذلك نفوذ مصر الى غربى آسيا وسيطر الأسطول المصرى القوى على ثغور تلك المناطق الشاسعة واستمرت حملات تحتمس بعد ذلك الى حملته السادسة عشرة التى حطم أثناءها للمرة الثانية قادش ومن حالفها وكان ذلك فى العام الثانى والأربعين من حكمه بقى بعد ذلك مهيبا لا يهاجمه أحد بقية حكمه الذى امتد ١٢ سنة بعد حملة قادش الثانية والجميع يخطب وده وود بلاده وتبعث الجزية والهدايا الثمينة الى مقر حكمه طيبة عاصمة بلاده اذ ذاك . ومحط انظار العالم المعروف أجمع .

لم يكن تحتمس الثالث قائدا بارعا شجاعا مقداما فحسب بل كان ايضا مصلحا كبيرا فقد أمر رجاله وأعوانه بان يدخلوا الى مصر كل ما يجدونه صالحا من حيوان أو نبات وكان ضمن ما أدخلوه الدجاج والرمان . ولم يفته تشجيع المحسن ومكافأته على اتقان عمله .

اهتم تحتمس الثالث وهو القائد الكبير والفاتح العظيم باعداد ابنه وولى عهده امنحوتب الثانى اعدادا عسكريا وعهد بذلك الى من يحسن القيام به وتنفيذ رغبات الملك نحو ولى عهده الذى ارتقى عرش البلاد سنة ١٤٣٦ وهو فى الثامنة عشرة من عمره فاتبع خطى ابيه وحافظ على امبراطوريته الواسعة واستقر له الأمر وأخمد بعض الثورات الصغيرة وعاش الناس مدة حكمه الذى امتد ١/٤ قرن كامل فى رخاء وأمن وطمأنينة . وخلفه على العرش عام ١٤١١ ق.م

ابنه تحتمس الرابع الذى كانت بداية حكمه أن ذهب على رأس جيشه الى بعض المدن السورية ليخمد ما اشتعل بها من ثورة ويعود محملا بالغنائم ويسوق عددا كبيرا من الأسرى وكذلك فعل عندما شبت ثورة فى السودان .

كانت ممالك ميتانى وبابل وآشور وخيتا فى آسيا تتنافس فيما بينها واهمها مملكةميتانى التى بدات تخشى خطر مملكة خيتا فاخذت تخطب ود مصر فشجع تحتمس الرابع هذا التقارب ووثقه بزواجه من ابنة الملك وهذه الأميرة الميتانية هى التى سميت (موت ام أويا) وانجبت امنحوتب الثالث الذى تولى الملك سنة ١٣٩٧ الى ١٣٦٠ ق.م

قضت مصر قرنا كاملا وهى تؤسس امبراطوريتها فمنذ ان تولى تحتمس الأول عرش البلاد وتطلع بعينيه نحو آسيا لم يتراخ هو او واحد من خلفائه فى توطيد هذا الملك بل ان مصر لم تحس بسلامتها وتؤمن انها قد تخلصت الى الأبد من خطر فلول اعدائها الهكسوس الا بعد أن رأت تحتمس الثالث يدك أسوار قادش ويقود زعماءها فى موكب نصره . واخذ الأسرى الآسيويون يستوطنون ارض النيل كما كان جنود مصر يذهبون الى آسيا ويأتى الكثير من سكان بلاد الشرق الى طيبة التى أصبحت أولى بلاد العالم وكعبة القصاد .

دخلت مصر منذ تولى أمنحوتب الثالث فى فترة جديدة من حياتها فقد كان غير ميال الى الحرب بطبيعته وكانت الأمور قد استتبت فى آسيا ولم يعد هناك من تحدثه نفسه بالخروج على حكم مصر أو منازعتها كما كانت خزائن الملك المصرى تفيض باكداس الذهب والفضة وتأتى الهدايا والجزية الى وادى النيل من جميع انحاء الامبراطورية واتجه الملك الى اقامة المعابد الفخمة والتماثيل الرائعة الجمال والقصور المنيفة فى طول البلاد وعرضها . وحذت

الرعية الفنية حذو مليكها وازدهر الفن أيما ازدهار ويرى أثر ذلك من نقوش دقيقة بديعة على جدران المعابد وغيرها من الابنية الشامخة ومقابر الملوك والملكات والكهنة وكبار الحكام والامراء والعظماء .

اتجه الملك امنحوتب الثالث الى حياة الدعة واللهو والاستمتاع بما فى قصوره من زوجات وجوار وجميع وسائل الرفاهية حتى أنه انشأ لزوجته « تى » بركة عظيمة تحقيقا لرغبتها فى أقل من أسبوعين كانت تمخر عبابها القوارب الرشيقة ليتنزه بها هو والزوجة ومن يختار من الحاشية والوصيفات فلم يترك له هذا اللهو وقتا للتجوال فى انحاء الامبراطورية واطمأن الى ما كان يسود ملكه من هـــدوء ورخاء مكتفيا بابقاء الصداقة والمودة بينه وبين الأمراء الاسيويين.

قضى امنحوتب الثالث ٣٦ سنة على العرش لم يرسل خلالها الى آسيا حملة عسكرية واحدة فنسى الناس جيش فرعون وسطوته .

اشرك امنحوتب الثالث معه فى الحكم بعد وفاة ابنه تحتمس ابنه الثانى امنحوتب الرابع الذى كان قـــد تزوج من أمـــيرة تسمى « نفرتيتى » وهى مصرية وابنة لامنحوتب الثالث من زوجةأخرى غير زوجته الملكة تى وبقى فى طيبة ليقوم بنصيبه فى حكم البلاد التى بدا عليها مظاهر بداية الضعف والتدهور ولم يكن هذا الشاب رجل الساعة الذى يستطيع ان ينهض بالبـــلاد ويحافظ على سمعتها ورهبتها لميوله الدينية المسيطرة على تفكيره واخذ يدعو لعبـــادة الشمس واختار أحد مظاهرها وهو أتون وتبعه فى ذلك أول الأمر بعض رجال بلاطه وحاشيته وبعض عامة الناس مما اثار غضب كهنة امون . ولما انفرد بالحكم بعد موت ابيه سنة ١٣٧٠ جاهر برأيه هذا واشتدت دعوته الى عبادة الشمس حتى غير اسمه الى اخناتون لتأكيد صلته بمعبوده مما ضاعف النزاع بينه وبين كهنة امون وفى السنة الرابعة من حكمه غادر طيبة واختـــار له عاصمة جديدة فى محافظة أسيوط اسماها « أخت أتون » أى مشرق أتون . وبنى

هناك معبده وقصور عاصمته الجديدة . وما ان تمت عمارة المدينة الجديدة حتى انتقل اليها هو واسرته ومن تبعه من حاشيته وكان لهذا الانقسام الدينى أثر كبير واضح على الامبراطورية المصرية من الناحية السياسية فساءت الحالة فى آسيا وأصبحت مملكة خيتا تغير على أطراف سوريا وتضمها ولاية بعد اخرى كما اخذت مدن أخرى فى فينيقيا وفلسطين تتمرد وتعلن استقلالها .

انهمك اخناتون فى مشاكل الديانة الجديدة فانصرف عن تدبير شؤون الملك وقد كان ينقصه الحكام المحنكون وكان يعتبر نفسه الرسول والوسيط بين اتون والناس ونشأت معابد لهذا الاله الجديد فى بعض البلاد وكان لها كهنة وعباد . وكانت هذه الديانة أول محاولة للاتجاه نحو التوحيد و التخلص من عبادة آلهة متعددة.

دب شقاق بين اخناتون وزوجته نفرتيتى فى السنة الثانية عشرة من حكمه ولم تفلح وساطة أمه الملكة تى التى حضرت الى اخت اتون فى اصلاح ما بينهما من جفاء وشقاق وعاش كل من الزوجين بعيداً عن الآخر .

فى أواخر حكم اخناتون اشرك معه فى الحكم اميرا صغير السن هو توت عنخ أتون الذى لم يتجاوز التاسعة من عمره وكان قد زوجه من ابنته فلما مات اخناتون سنة ١٣٤٩ ق.م. ارتقى الملك الصغير العرش وبقى وزوجته فى أخت أتون ثلاث سنوات غادرها بعد ذلك الى طيبة وكان قد رضخ هو أو مستشاروه الى ضغط كهنة أمون وغير اسمه الى توت عنخ أمون وانتهت بذلك الدعوة الى عبادة أتون وأخذ كهنة أمون وانصارهم يحطمون آثار تلك الديانة أينما كانت وهدموا المدينة الجديدة وعاد الى هؤلاء الكهنة النفوذ والسلطان وحكم توت عنخ أمون عشر سنوات ومات دون أن يكون له ولد ولم يتجه الكهنة الى أمير من أمراء العائلة التى حكمت نحو ٢٢٠ سنة . بل وصل الى العرش رجل غريب عن البيت المالك وهو

« آى » ثم جاء بعده حور محب القائد الاعلى للجيش الذى تولى الحكم ٣٠ سنة قام ابانها باصلاحات داخلية عديدة . وعادت لمصر ثقتها بنفسها وكان هذا الملك المصلح آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة كما كان أحمس الذى طرد الهكسوس وتولى حكم مصر سنة ١٥٧٠ أول ملوكها الأبطال .

انتقل العرش بعد حور محب الى قائد آخر من قواد الجيش طاعن فى السن هو رمسيس أول الأسرة التاسعة عشرة سنة ١٣٠٤ ق.م. ولم تتجاوز مدة حكمه السنتين وخلفه ابنه سيتى الذى كان هو أيضا قائدا فى الجيش ويعتبر بحق من أهم الملوك الذين جلسوا على عرش مصر (١٣٠٣ — ١٢٩٠) ولما آل اليه الحكم وجد ان خير ما يفعله هو أن يتبع خطوات ابيه وسياسة حور محب الاصلاحية فأصدر اوامره بسرعة اتمام ما بداه أبوه وحور محب من أعمال اصلاحية تعود على الشعب والبلاد بالخير والرفاهية ولم يتوان فى اخماد الثورة التى قامت وراء الحدود الشرقية وادب بدو سينا وجنوب فلسطين وأعادهم الى الطاعة والاذعان لحكمه ودانت له فلسطين وسوريا ومدينة قادش وعاد مكتفيا بما أحرزه من غنائم وانتصارات ليخمد ثورة أخرى قامت على حدود مصر الغربية وآمنت خيتا وغيرها من البلاد الآسيوية بان عهد سيتى يختلف عن عصر اخناتون فخطبوا ود مصر مما مكن سيتى من التفرغ للاصلاحات الداخلية ونشر العدل والطمأنينة فى البلاد واقامة المبانى العظيمة من معابد وقصور والكثير من آثار ذلك الملك العظيم لا سيما أعماله فى الكرنك ومعبده فى طيبة وقبره فى وادى الملوك الذى يمتاز بانه أهم المقابر جميعا فى تلك المنطقة ومعبده العظيم فى ابيدوس وكان سيتى من أعظم من سجل بدقة وتفصيل انتصاراته على جدران المعابد والمقابر مما يدل على ازدهار الفن وتقدمه تقدما كبيرا . كما اهتم سيتى بالمناجم واستثمارها . وحفر كثيرا من

الآبار فى الصحراء لمساعدة المسافرين الى مناطق المناجم . ولم تقتصر آثاره على مصر بل امتدت الى بلاد النوبة وشمال السودان كذا فى لبنان وغيرها .

خلف سيتى على العرش ابنه رمسيس الثانى بطل زمانه كما سجل هو عن نفسه على مختلف الآثار فى طول البلاد وعرضها وامتد حكمه ٦٧ سنة (١٢٩٠ – ١٢٢٣) كانت حافلة بالحروب والفتوحات والانتصارات .

بدا الملك أيام حكمه بأن اكمل اعمال ابيه واتم ما بداه من آثار واهتم باستتباب الأمن وتوفير الرخاء والطمانينة فى ربوع البلاد الى ان كانت السنة الخامسة من حكمه فاعد جيوشا أربعة قادها بنفسه ليعيد هيبة مصر الى مكانتها السابقة لا سيما فى عصر تحتمس الثالث الذى قهر جيوش اعدائه قهرا تاما وهدم قادش وحصونها بل ازالها ازالة تامة من الوجود ولكن ملوك خيتا أعادوا الى تلك المدينة مكانتها الحصينة السابقة مما جعل اخضاعها والاستيلاء عليها أمرا غير يسير وتقدم رمسيس بأحد جيوشه لمهاجمة عدوه وحدث أن وقع فى الأسر جنديان من جنود خيتا ففررا وفقا لخطة موضوعة برمسيس واوهماه بأن جيوش ملك خيتا وحلفائه قد تفهقرت وانسحبت الى مسافة بعيدة مما حمل القائد على عبور نهر العاصى بجيشه أمون وعند وصوله وجيشه الى الشاطىء الآخر ظهر فجاة جنود العدو المختبئون مما ازعج رمسيس وجنوده واختل نظامهم وفر بعضهم ولكن ما لبث أن وصلت نجدة من جيوش مصر وشدت ازر المقاتلين وقوت عزيمتهم فانتصروا على اعدائهم واجبروهم على طلب العفو من رمسيس واستجاب لتوسلاتهم وانتهت المعركة دون أن تسقط قادش فى يد رمسيس وبقيت الحدود كما كانت ولكن رمسيس الثانى اعتبر ذلك نصرا سجله على عدة معابد فى الأقصر والرمسيوم والكرنك وابيدوس وفى احدى البرديات أيضا .

اتفق الطرفان المتحاربان على أن يحترم كل منهما حدود الآخر والا يتدخل فى شؤون رعاياه واقتصرت امبراطورية مصر فى آسيا على فلسطين ولبنان وجزء صغير من سورية وعلى الأخص الموانى التى كانت على الشاطىء .

توفى موتلى ملك خيتا وقام بعده نزاع على العرش بين ابنه أورخى وعمه خاتوسيلى انتهى بتملك العم واستمرت الأحوال فى تلك الأرجاء وانتعشت مملكة أشور وتقوت وقام نزاع بينها وبين خيتا مما حمل الملك خاتوسيلى على التودد الى ملك مصر ليتفرغ هو لتحديات آشور وتحقيقا لهذه السياسة زار مصر ومعه احدى بناته ليزفها الى رمسيس الثانى وكان ذلك فى العام ٣٤ من حكمه أى عام ١٢٥٦ ق.م. كان ذلك فاتحة عهد سلام بين الطرفين ولكنه لم يدم طويلا . اذ انه بعد أن مات خاتوسيلى أخذت هجرات كبيرة هندو - أوربية تتدفق على هذا الجزء من الشرق كالجراد ومعها نساؤها واطفالها وماشيتها . وكانت كل هجرة منها تتبعها أخرى لتستقر فى آسيا الصغرى وجزر بحر ايجه واليونان وشمال افريقيا وما لبثت مملكة خيتا أن هوت من أثر هذه الهجرات .

بنى رمسيس بعض الحصون فى الجهة الغربية على مقربة من برج العرب وآخر عند العلمين وحصنا آخر عند أم الرخم الى الغرب من مرسى مطروح لدرء مثل هذه الهجرات ومات رمسيس وقد جاوز الثمانين وترك من البنات والبنين من زوجاته الملكات ومحظياته العديدات أكثر من ١٤٠ ولدا .

اختار رمسيس الثانى فى السنة الخامسة والخمسين من حكمه ابنه منفتاح ليكون وليا للعهد .

تكاد لا توجد منطقة أثرية فى مصر لم يرد فيها اسم رمسيس الثانى ويكفى أن نشير الى معابده العديدة فى الكرنك والجزء الأمامى من معبد الأقصر والرمسيوم وأبيدوس ومعابده المتعددة فى النوبة

وابو سمبل وكثيرا ما تجرأ على آثار من سبقوه من ملوك حتى والده ونسبها الى نفسه .

شهدت الاعوام الاخيرة من حكم رمسيس الثانى ضعفا فى الامبراطورية المصرية بسبب هجرات الشعوب الهندو - أوربية التى كانت تعيث فسادا فى جميع البلاد المحيطة بالبحر الأبيض . ولم يكن منفتاح شابا عندما آل اليه الملك بل كان يقرب من الستين وقد بذل ما استطاع لمقاومة هذا التيار الجارف ومن أهم أعماله أن صد الهجوم الذى قام به احد زعماء القبائل ومن معه من الجحافل الهندو - أوربية . بقصد الاستيطان وهزم فى غرب الدلتا بعد معركة حامية استمرت ست ساعات فر منهم من فر وقتل الكثير وأسر منهم تسعة آلاف أسير .

حكم منفتاح ١١ عاما وجاء بعده بعض الملوك الضعاف العزيمة وكثر النزاع والشحناء حول العرش الى ان جاءت الأسرة العشرون ١١٩٥ - ١٠٨٠ وكان أول ملوكها الملك (ست نخت) الذى لم يجلس على العرش أكثر من ثلاثة أعوام ١١٩٥ - ١١٩٢ . وقد ترك منذ البداية لابنه رمسيس الثالث امر ادارة البلاد ولهذا فمن المحتمل ان يكون ست نخت أحد أمراء البيت الملك القديم المتقدمين فى السن جمع حوله الناس واراد تخليص البلاد من محنتها واتجه الملك الجديد رمسيس الثالث الى انجاز الكثير من الاصلاحات بعد أن صد هجوم المغيرين من ليبيا على مصر وتدمير أسطولهم البحرى تدميرا كاملا مما جعل مصر فى مأمن من اغارة هؤلاء الدخلاء الطامعين فى أرض غيرهم وما لبث الملك رمسيس الثالث فى أواخر أيامه ان فترت همته بسبب الشيخوخة بعد أن انجز من الاصلاحات والانتصارات التى عادت بالخير العميم على البلاد وكانت مدة حكمه ٣٢ سنة انتهت عام ١١٦٠ ق.م.

تكدست الأموال والضياع وزاد عدد الرقيق فى المعابد الى

درجة كبيرة وتضخمت الثروات فى يد الكهنة بل استأثروا بكل شىء حتى انتزعوا الملك واسسوا الأسرة ٢١ عام ١٠٨٠ ق.م. واعلنوا كبير كهنة أمون وأسمه حريحور ملكا ١٠٨٠ — ٩٥٠ وكان الشعب اذ ذاك يعانى من الفقر والحرمان ويتضور جوعا وكان هنـاك ملك آخر فى الدلتا عاصمته تانيس « صان الحجر » وهو الملك سمندس الذى امتد نفوذه علاوة على الدلتا الى أسيوط فى مصر الوسطى ولم يقع نزاع بين ملكى الشمال والجنوب . ولما مات حريحور خلفه ابنه بعنخى الذى فضل الاحتفاظ بلقبه كبير كهنة أمون واعترف بملك الشمال كحاكم سياسى وقد عثر أخيرا فى صان الحجر على بعض مقابر ملوك الشمال وبها من مخلفاتهم ما يدل على الغنى والسلطان.

انقسمت مصر على نفسها من أثر اشـتعال ثورات متعـددة واضمحلال سـلطة الملوك المتعاقبين وقويت سـلطة أمراء الاقاليم فأخذوا يتنافسون على العرش وحدث أن كان بمصر أكثر من ملك فى وقت واحد واستمرت هذه الفـوضى والتطاحن داخليا الى أن استولى الملى بعنخى بجيشه الذى جاء من شـمال السودان على البلاد وقضى على ما عمها من الفوضى قضاء تاما وبذلك بدأت الأسرة ٢٥ (٧٥١ — ٦٥٦) وكان بعنخى قد حضر الى مصر ليقود جيشه بنفسه وأخضع البلاد لحكمه وقدم له الأمراء فروض الولاء والطاعة وما لبث بعنخى أن عاد الى نبتـا وسرعان ما عادت الفـوضى تعم البلاد المصرية وكثر فى ربوعها التطاحن والنزاع . والمتتبع لتصرفات بعنخى هذه يدهش لعودته السريعة الى نبتا ولا يحرك ساكنا بعد ذلك رغم أن الأمور فى الجنوب كانت سائرة فى مجراها العادى .

تعاقب خلفـاء بعنخى على الحكم فى الجنوب والشمال وحكم ملوك مصر فى الشمال والجنـوب ايضـا وقامت ثورات ونشبت حروب بين أشور ووادى النيل وكانت سجالا بين الفريقين الى أن جاءت الأسرة السادسة والعشرون (٦٦٣ — ٥٢٥) .

استمر النزاع واستشرى بين العديد من الأمراء حكام الأقاليم وتلاشت هيبة مصر مما شجع الأشوريين على التدخل فى حكمها الى أن تمكن بسمتك احد أمراء الشمال من الاستئثار بالحكم واستطاع طرد الأشوريين وغيرهم من الأغراب وعادت بذلك لمصر مكانتها وهيبتها واستقلالها وشمل نفوذ بسمتك وسلطانه الشمال والجنوب وامتد حكمه لأكثر من ٥٠ سنة واستعان بسمتك بجنود من المرتزقة الاغريق وعدد قليل من المصريين وكان قواد جيشه من الأجانب . وخلفه عام ٦٠٩ ق.م على العرش الملك العظيم نكاو الثانى ٦٠٩ – ٥٩٣ وكان من اهم اعماله الانشائية ان يحيى من جديد مشروع توصيل البحرين الأبيض والأحمر وذلك بحفر قناة تبدأ من مكان قريب من الزقازيق حتى تصل الى البحيرات بالقرب من مدينة الاسماعيلية الحالية وهى قناة قديمة انشئت فى ايام الدولة الحديثة ولكنها كانت تهمل من آن لآخر حتى اندثرت وعفت آثارها .

لم يمض نكاو فى مشروعه هذا وتوقف العمل به فجأة بغير سبب معروف بعد أن هلك فيما تم منه من أعمال أكثر من ١٢٠ الف عامل .

تولى عرش مصر بعض الملوك لم يطل عهد أى منهم الى أن جاء أحمس الثانى (أمازيس) ٥٦٨ – ٥٢٥ الذى اقام الكثير من الحصون فى الواحات وشجع على تعميرها والاقامة بها وازدهرت التجارة ازدهارا كبيرا واخذ الرخاء والانتعاش والطمأنينة تعم مصر ابان حكمه الطويل ولكن فى العام الأخير من حكمه أخذت الأمور تتغير وتتبدل وتجمعت السحب السوداء وكانت الكارثة من نصيب خلفه بسمتك الثالث فقد طمع امبراطور ايران الناشئة فى الاستيلاء على مصر وكان ملكها قمبيز قد خطب لنفسه نفريت ابنة فرعون مصر واجيب طلبه وزفت اليه عروس شابة حسناء مصرية أحبها قمبيز

وأخلص لها الود الى ان وفد عليه قائد يونانى الأصل كان قد هرب من مصر وقص عليه قصة اثارته واغضبته فحواها أن امازيس ملك مصر لم يرسل ابنته نفريت كما زعم بل أرسل حسناء مصرية أخرى هي أيضا ابنة ملك سابق لمصر أرادت أن تفتدى بلادها بنفسها وقد ابت نفريت ان تستجيب لراى ابيها وتتزوج بشاه الفرس .

يقال ان هذه القصة كانت الحافز الذى دفع ملك الفرس الى غزو مصر مستعينا بالقائد اليونانى الخائن الذى سهل له الأمور وارشده وجيشه الى نقطة الضعف في حدود مصر واحسن السبل لغزوها فاستأجر له البدو على الحدود وابلهم التى تحمل الماء للجيش في القرب حتى تجتاز الصحراء الجرداء وهزم جيش فارس الجيش المصرى بقيادة الضباط اليونان رغم استبسالهم فى الدفاع عن بلادهم وتقهقروا الى منف حيث تبعهم قمبيز وجنوده .. وتم له الاستيلاء على البلاد . ولما تقابل الملكان بسمتك وقمبيز تصالحا وتصافيا فقد كان كل منهما شجاعا مقداما ولكن بسمتك لم يرض بالهزيمة والخضوع فحاول استئناف الحرب والقتال فقبض عليه جنود قمبيز ولكنه انتحر وبعد ذلك سار قمبيز واستولى على طيبة وارسل جيشا ليحطم معبد آمون فى واحة سيوة وقاد جيشا آخر للاستيلاء على اثيوبيا وكان نصيب هذا الجيش أن صده ملك نبتا فعاد مهزوما الى منف . أما جيش الواحات فكان نصيبه أسوأ من ذلك فقد دفنته العواصف القوية تحت الرمال فلم يبق له أثر فى الوجود .

كان قمبيز مصابا بالصرع غريب الأطوار وفى ثورة غضب قتل بسيفه معبود مصر العجل أبيس .

لم يبق قمبيز بمصر طويلا بعد كارثة جيوشه وفشله فعاد الى بلاده وقيل انه اصيب بالجنون عندما علم ان افاقا انتحل

شخصية أخيه الذى كان قد أمر بقتله وادعى انه الوارث الشرعى لعرش قورش بل استولى على العرش فعلا لفترة قصيرة الى ان قبض عليه وأعدم ولكن قمبيز مات فى سوريا قبل أن يصل الى بلاده .

خلف دارا والده قمبيز على حكم فارس واتبع سياسة اللين والمجاملة مع الشعب المصرى الذى كان يحكمه وال من قبل الفرس فاحترمت الديانة المصرية والمعابد الى أن اعتنقها بعض الفرس وهذه المعاملة الطيبة لم تحل دون غضب مصر على حكامهم الأجانب وقيامهم بثورات من وقت لآخر وجاء بعد دارا ملك فارسى بعد ملك فارسى وتقلبت سياستهم بين الشدة والقسوة فى الحكم وبين اللين والعطف ولكن لم ترهب الشدة المصريين ولم يخدعهم العطف واللين فالعداء بين الحاكم الأجنبى والمحكوم أصيل متمكن من النفوس التى لا ترضى الضيم والهوان وظلت الأمور تسير فى هذا الطريق الوعر الى أن تمكنت مصر من طرد الفرس واعادة استقلال البلاد عام ٤٠٤ ق.م .

كان قائد الثورة التى طردت الفرس هو « أمون ــ حر » الذى أصبح ملكا على مصر كلها وحكم الى سنة ٣٩٨ ق.م حيث بدأت الأسرة التاسعة والعشرون وكان أول ملوكها نفريتس الذى حكم بدوره ست سنوات أيضا وجه اهتمامه الى اصلاحات داخلية وخلفه بضعة ملوك لم تطل مدة حكم اى منهم الى أن ارتقى العرش « نخت نبف » الأول مؤسس الأسرة الثلاثين (٣٧٨ ــ ٣٤١) ق.م وجاء بعده ابنه نختنبو الثانى الذى ازدهرت مصر ابان حكمه (١٨ سنة) وعمها الأمن والرخاء بتولى أبنائها شئونها الى أن عاد الفرس الى فتح مصر عام ٣٤٣ ق.م واحتلوا منف وتقهقر الملك نختنبو الثانى الى طيبة ومعه جيشه ولحق به الفرس وتم لهم

الاستيلاء على مصر شمالها وجنوبها في عام ٣٤١ ق.م وظلوا بها الى ان فتحها الاسكندر سنة ٣٣٢ ق.م وطردهم منها .

كان الاسكندر رغم شبابه قائدا ماهرا شجاعا حصيفا وتلميذا نجيبا لأرسطو اعجوبة زمانه والمعلم الأول في تاريخ الانسانية . وسبق للاسكندر ان هزم الفرس في أكثر من معركة وما ان استولى على مصر حتى خطب ود اهلها واظهر احتراما كبيرا لديانتهم حتى انه قرر زيارة معبد آمون في واحة سيوة وتوج بها ملكا على وادى النيل ولما عاد الى منف اختار قرية راقودة على شاطىء البحر المتوسط لينشىء مكانها مدينته العظيمة الاسكندرية التى كانت وما زالت الى اليوم من أعظم موانى البحر المتوسط بل اعظمها جميعها واشتهرت بفنارها وعمرانها ومكتبتها فيما بعد .

مات الاسكندر سنة ٣٢٣ ق.م وهو في عنفوان شبابه وقيل ان امه طالبت بدفنه بالاسكندرية ولكن لم يعثر على قبره الى اليوم . وكانت مصر نصيب بطليموس احد كبار قواده واعتنق البطالمة الاغريق الديانة المصرية فكان الأخ يتزوج من اخته او ابنته على غير ما ألفوه في أوطانهم واستدعى بطليموس الاول العديد من اهله وعشيرته فاستوطنوا مصر وامتزجوا بأهلها قرونا فكان منهم الجند والحرفيون والزراع والمعلمون واطمأن الى حد ما الى هؤلاء الفاتحين أهل مصر على غير ما كانت الحال بينهم وبين الفرس او الرومان فيما بعد فقد كانت العلاقات التجارية وغير التجارية قائمة ومتصلة بين الشعبين المصرى والاغريقى منذ بضعة قرون قبل فتح الاسكندر لمصر فكانت السفن اليونانية تحمل المنتجات المصرية الى مختلف الجزر في البحر المتوسط وغيره من البحار . وقام البطالمة الاغريق باصلاحات عديدة في طول البلاد وعرضها طوال القرون الثلاثة التى حكموا مصر خلالها . وكان لهم اسطول قوى حديث وجيش مهاب .

رغم التفاهم الذى بدأت به العلاقة بين الحكام الاغريق والشعب المصرى فقد قامت اكثر من ثورة ابان القرون الثلاثة التى حكم البطالمة مصر خلالها . وكان لهذه الثورات وغيرها من احداث الزمن أثر على ما بدا على الحكام من ضعف وما نشأ من خلاف فى الأسرة المالكة سيما عندما آل الحكم الى كليوبترة السابعة واخيها الصغير بطليموس الثالث عشر ولما ايقن أوصياؤه ان كليوباترة تعمل على الانفراد بالحكم أثاروا عليها أهل الاسكندرية مما اضطرها الى التوجه الى الحدود الشرقية حيث جمعت جيشا من القبائل السامية القاطنة هناك . وبدأ نزاع مرير بين الأخ واخته وكان قيصر روما قد وصل الى مصر متعقبا خصمه العنيد بومبى ولكنه كان قد اغتيل بأمر قائد الجيش البطلمى ودعت الظروف أن يتدخل قيصر لحسم النزاع بين الأخوين فبهره جمال كليوباترة وذكاؤها وقوة شخصيتها فتودد اليها مظهرا الاعجاب بها وكان الاسكندريون قد أخذوا يحشدون جنودا وذخيرة لمقاومة قيصر ونشبت حرب بين الجيشين المصرى والقيصرى واستدعى قيصر النجدة تلو النجدة وانتهى الأمر بانتصار جيش روما ومات ملك مصر الصغير غرقا وحسم قيصر أمر عرش مصر بأن أشرك مع كليوباترة أصغر أخويها ثم غادر مصر عائدا الى بلاده وكانت نتيجة هذا اللقاء بين قيصر وكليوباترة ابنه قيصرون مما جعل كليوباترة لا تعتبر نفسها ملكة على مصر وحدها بل تطمع ان تكون امبراطورة على العالم الرومانى كله .

اغتيل قيصر بروما بعد نزاع سياسى وآلت السيادة على الامبراطورية الرومانية الى اكتافيوس فى الغرب وانطونيوس فى الشرق حيث كان يمضى أوقاته بالقرب من معشوقته كليوباترة ملكة مصر وسرعان مادب نزاع بين الحاكمين دفع اليه فى حقيقة الأمر غيرة أخت اكتافيوس زوجة انطونيوس من منافستها كليوباترة وانتهى الأمر بأن انتصرت جيوش اكتافيوس على جيوش غريمه انطونيوس

بمصر سنة ۳۰ ق.م مما أدى الى انحياره لانفضاض الرومان عنه بل واحتقاره لانحيازه الى امرأة اجنبية عن بلاده وما لبثت كليوباترة أن انتحرت هى أيضا بطريقتها التى لم يسبقها اليها منتحر بتمكينها الكوبرا من لدغها لدغة مميتة هربا من أن تسير فى موكب اكتافيوس للاسرى فى شوارع روما ذليلة مكسورة الجناح .

كان لهذه الاحداث التى وقعت بمصر وادت الى انتقال الحكم من البطالمة اليونان الى امبراطورية الرومان قصة صورها كل من شكسبير وبرنارد شو وشوقى تصويرا رومانسيا مشحونا بالصراع بين الحب والغرام وشهوة الحكم والسلطان وكانت مأساة انتهت بانتحار بطليها كليوباترة المرأة الجميلة الفاتنة الطموح وانطونيوس الذى لبى نداء قلبه فخضع لمعشوقته وتراخت قبضته على مقاليد الحكم فكانت الهزيمة التى انتهت بانتحاره هو أيضا .

لما تم فتح الرومان لمصر وضعوا بها حامية قوية للدفاع عنها وضمان عدم وقوعها فى قبضة عدو من أعداء روما فكان لهم جيش بالاسكندرية وآخر بمنف وثالث قرب دمياط وحامية اخرى على الحدود الجنوبية ولم ترهب تلك الجيوش اهل البلاد ولم تمنعهم من الثورة والتمرد على الحكام الجدد وعانى الرومان من ذلك وتعبوا فى اخماد تلك الثورات وكان أول حاكم رومانى بمصر هو كورنيليوس جاللوس وجاء بعد ذلك حاكم بعد حاكم ولكن الثورات فى الداخل وعلى الحدود الجنوبية فى النوبة استمرت ردحا طويلا من الزمن . بل استمرت سلسلة من الثورات فى طول البلاد وعرضها من الجنوب الى الشمال بالاسكندرية والدلتا وغيرها من المواقع المختلفة طوال حكم الرومان وخصوصا فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ــ ٣٠٥ م) حيث اضطهد المسيحيين اضطهادا شديدا عنيفا بلا رحمة ولا شفقة ولا انسانية .

لما أعلن الامبراطور قسطنطين فى أوائل القرن الرابع الميلادى ٣٢٣ م ان المسيحية هى الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية انتهى عصر الاضطهاد الدينى ولكن هذا لم يمنع استمرار الثورات السياسية ضد المستعمر الأجنبى .

حاول الفرس مرة ثالثة الاستيلاء على مصر ونزعها من منافستهم الامبراطورية الرومانية فهاجموها وفتحوها واستقروا بها من عام ٦١٧ م لمدة عشر سنوات طردهم بعدها الرومان .

أسلفنا ان الرومان لم يستوطنوا مصر بل اعتبروها مجرد مصدر للمال والغلال يجبيها الحاكم الرومانى . لذا كانت دواوينهم رغم القرون الطويلة التى كانت مصر ابانها ولاية رومانية (٣٠ ق.م – ٦٤٠ م) يكتبها لهم المستوطنون اليونان الذين بقوا بمصر بلغتهم اليونانية حتى نقلها الى العربية عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بعد الفتح العربى .

شرف الله الشرق ان كان مهد الانبياء ورسالاتهم السماوية فولد موسى عليه السلام بمصر ونشا ببيت ملكها أو فرعونها وابلغ الرسالة كما امره ربه ولاقى ما لاقى من التكذيب والكفر به وبربه الواحد الأحد . كما ولد عيسى بفلسطين وكان نصيبه التكذيب والتعذيب والاضطهاد وعندما جاهر برسالته حتى حكم عليه بالصلب فنجاه ربه وشبه لهم ورفعه الى السماء وكان نصيب من اتبعه وكتب أناجيله العذاب والتنكيل خصوصا فى حكم دقلديانوس كما أسلفنا .

ادرك الله الانسانية برحمته ورضوانه فبعث محمدا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء وسيد المرسلين هاديا وداعيا الى الدين القويم وعبادة الواحد الأحد خالق الكون العظيم ونهى عن الشرك مبشرا المؤمنين بالجنة متوعدا الكافرين بالنار وعذابها الأليم فخالفه

عليه الصلاة والسلام قومه وعظماء رجال قريش بل حاربوه هو ومن آمن به من العرب حربا لا هوادة فيها ولا رحمة وعذبوا الضعاف من انصاره عذابا اليما حتى أمره ربه بالهجرة بدينه فكانت الهجرة من مكة الى يثرب طاعة لأمر ربه واستجابة لدعوة الانصار من اهل يثرب الصادقين المخلصين . حيث صدقه وآمن به اقوام واقوام من العرب وغيرهم ونصر الله دينه وخذل المشركين وأتم نعمته على عباده المؤمنين وأكمل لهم دينهم فاطمأنت قلوبهم وقويت عزائمهم وايقنوا ان واجبهم يحتم عليهم دعوة الناس كافة الى التوحيد وعبادة واحد احد .

اختار الرسول الكريم جوار ربه فانتقل الى الرفيق الأعلى سنة ١١ هـ وبويع أبو بكر خليفة لرسول رب العالمين ثم جاء بعده عمر بن الخطاب أميرا للمؤمنين وفى ولايته جيش الجيوش وبعث البعوث يدعو الى الاسلام ونبذ عبادة الأصنام والأوثان والاذعان لما جاء به القرآن الشريف الذى أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين للناس أجمعين أن اعبدوا الها واحدا .

كان الجيش الذى جهزه عمر لفتح مصر بقيادة عمرو بن العاص المسلم المؤمن الشجاع والسياسى الحصيف وكان النصر حليفه هو وجنوده الشجعان وأعوانه من الصحابة العظام أمثال الزبير بن العوام الذى اقتحم حصن بابليون الرومانى بمصر وغيره من أعلام الصحابة الكرام .

كان سكان مصر عند الفتح العربى نحو ١٥ — ١٨ مليون نسمة ويدل على صحة هذا التقدير أن الجزية التى فرضت على كل نصرانى لا يسلم ديناران سنويا يستثنى من ذلك النساء والأطفال والشيوخ وبلغت جملة الجزية ١٢ مليون دينار سنويا أى فرضت على ٦ ملايين من الرجال والشبان الأقوياء .

كان أول حكام مصر من العرب هو عمرو بن العاص فاتحها ثم خلفه في خلافة عثمان بن عفان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخوه في الرضاعة ولما أخذ أهل مصر يدخلون في دين الله أفواجا لا سيما في خلافة عمر بن عبد العزيز ٩٨ – ١٠١ هـ مما هبط بمقدار الجزية الى حد بعيد . كتب عامل الخليفة اليه متذمرا من ذلك . فنهره عمر الخليفة الصالح مرددا قوله المشهور : ان محمدا جاء هاديا لا جابيا .

تغلب العباسيون على الامويين سنة ١٣٢ هـ واستتب لهم الأمر وبسطوا نفوذهم على جميع البلاد التى خضعت للمسلمين من العرب وبعثوا سنة ٢٥٤ هـ باحمد بن طولون عاملا وحاكما لمصر فاستقل بها وانشأ لنفسه حرسا من الجنود الاشداء الأقوياء . وشاد جامعه المشهور الباقي الى الآن وقام باصلاحات كثيرة مفيدة . وخلفه ابنه خمارويه الذى زوج ابنته قطر الندى من الخليفة المعتضد بن الموفق ابن المتوكل « ٢٧٩ – ٢٨٩ » هـ ثم حكم مصر الأخشيد محمد بن طغج فلما مات خلفه ابنه القاصر أبو القاسم فتولى الوصاية عليه كافور وفي سنة ٣٥٨ هـ فتح القائد الفاطمي جوهر مصر بلا حرب أو قتال اذ بعد ان وصل الى الاسكندرية أرسل أعيان مصر له وفدا يطلب الأمان فرحب بهم القائد ووصل الى مصر واستقبل احسن استقبال وانشأ مدينة القاهرة واقام الجامع الأزهر وشيد قصرا منيفا للخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذى وصل عام ٣٦٢ هـ واستمر الحكم الفاطمي ٢٠٩ سنوات الى أن عزل صلاح الدين بن أيوب سنة ٥٦٧ هـ العاضد آخر خلفاء الفاطميين بمصر حيث بدأ حكم أسرة أيوب .

تكررت اصابة مصر بالقحط بسبب هبوط ماء النيل وانخفاض الفيضان فعندما جاء جوهر الى مصر كان النيل قد هبط منذ بضع

سنين استمرت الى سنة ٣٦٢ هـ وفى حكم الفاطميين جاءت الشـــدة الكبرى سنة ٤٤٦ هـ فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى وامتـــدت ثمانية أعوام أعقبها ستة أعوام رخاء ثم ستة أعوام أخرى من القحط الشديد مما انهك البلاد اذ بلغ عدد الموتى يوميا بالقاهرة وحدها بسبب المجاعة والوباء نحـــو عشرة آلاف وكان القحط التالى عام ٦٠٠ هـ فى حكم العادل الأيوبى ثم جاء قحط آخر سنة ٧٠٠ هـ فى عصر العادل كتبغا المملوكى وكان القحط الخامس فى أواخر القرن الثامن الهجرى فى عهد السلطان الناصر حسن بن الناصر محمـــد فكانت نتيجة هذا القحط المتكرر اضمحلال عدد سكان مصر حتى لم يتجاوز عددهم عند حملة نابليون على البلاد ٢٫٥ مليون بعد ان كانوا أكثر من ١٥ مليونا عند الفتح العربى .

(أراد الله لمصر وأهلها الخير العميم فانشىء السد العالى العظيم عند أسوان مما يقى البلاد الشرق أو الفرق) .

جاء صلاح الدين بن أيوب الى مصر تلبية لطلب وزير الخليفة العاضد لدرء خطر الصليبيين على البلاد واستقر بها وصار سلطانا وحاكما يرعى مصالحها ويسوس حكمها بالعدل والانصاف وامتد حكم بنى أيوب لمصر والشـــــام وجلبوا أثناء حكمهم لمصر كثيرا من الرقيق الأبيض من الشباب من الجنسين ونشأوا تحت رعاية هؤلاء الحكام واستعانوا بهم كجند وضباط واشتهر هـــؤلاء المماليك بالشجاعة الفائقة والاقدام واتقنوا فنون الحرب والقتال . ولما انتهى حكم الأيوبيين لمصر خلفهم عليها مماليكهم ومن الطريف أن أول من حكم من المماليك كانت شجر الدر المرأة الذكية الشجاعة المقدامة التى أخفت عن الجيش المصرى الذى كان يحارب حمـــلة لويس التاسع على مصر خبر موت زوجها الملك الصالح الأيوبى الى أن وصل ابنه توران شاه من سوريا ولكنه اختلف مع المماليك فقتله بيبرس ولمـا لم يوافق الخليفة العباسى على تولى امرأة السلطة فى مصر

تزوجت شجر الدر بعز الدين أيبك أحد كبار المماليك ولم تطل مدة حكمه اذ قتلته زوجه فتولى السلطنة بعده ابنه الذى قتل بدوره شجر الدر سنة ١٢٥٧ انتقاما لأبيه ثم تولاها قطز الذى هزم التتار بمعاونة قائده بيبرس فى الشام ورد كيدهم عن مصر واستقر الأمر فى المماليك بمصر ينتزع الخلف منهم السلطة بقتله سلفه وهـــزم المماليك لويس التاسع وسجنوه بالمنصورة حتى افتدى نفسه بمال وفير .

امتد حكم المماليك لمصر من ١٢٥٠ م الى ان فتحها السلطان سليم الأول العثمانى عام ١٥١٧ م بعد أن تغلب على السلطان الغورى وقتله على حدود مصر . ولما دخـل الجيش العثمانى القاهرة قبضوا على طومان باى الذى خلف السلطان الغورى ودار حديث بينه وبين السلطان سليم الذى اعجب بشجاعته وصراحته فعفا عنه وأكرمه ولكن سرعان ما وشى به الوشـــاة فقبض عليه واعدمه شنقا عند باب زويلة .

كان بيبرس قد دعا الى مصر من سوريا أحد أبناء بنى العباس واستقروا بها يورثها الواحد للآخر الى أن جاء السلطان سليم واستصحب معه الى عاصمة ملكه الخليفـــة العباسى الذى بايعه بالخلافة فانتقلت من بنى العباس بعد ان استمرت فيهم ٥٢٤ سنة ببغداد من ١٣٢ ــ ٦٥٦ هـ عندما قتل هولاكو المستعصم آخر خلفاء العباسيين ببغـــداد وخرب عاصمة بلادهم والقى بأمهات الكتب الثمينة بدجلة ونهب أموالهم وسبا نساءهم وبقيت الخلافة فى بيت آل عثمان الى ان اسقطها كمال أتاتورك وطرد آخر خليفة عثمانى سنة ١٩٢٣ أى بعد ٤٠٦ سنة منذ تولاها سليم الأول .

كان السلطان العثمانى يبعث واليا من قبله وقاضيا ليستقرا بالقاهرة . الأول لحكم البلاد وجباية الضرائب والثانى ليكون الرئيس الدينى من قبل السلطان . واستعان الولاة بالمماليك فعادوا الى

حكم البلاد حكما جائرا واستغلوها ليثروا منهـا ظلما بغير حق يعيشون عيشة الترف والبذخ . ولما جاء نابليون سنة ١٧٩٨ فاتحا لمصر لم يقم هؤلاء المماليك بالواجب عليهم بل تركوا الأمر للعلمـاء وأعيان المصريين يكافحون ويناضلون ولما اغرق الأسطول البريطاني أسطول نابليون بمصر وتأكد القائد الفرنسي من فشل حملته تسلل بليل عائدا الى بلاده ليغتنم الفرصة حتى وصل الى العرش الذى أقامه لنفسه وانتهى الأمر بأن انسحب الفرنسيون من مصر بعد ٣ سنوات حاملين معهم حجر رشيد الذى عثر عليه ضابط صغير من ضباطهم وقام العالم الكبير شامبليون بحل رموزه وكاد أن يتم حلها ولكنه توفى بعد ٢٤ سنة فاتمها عالم بريطاني مما مكن العلماء من قراءة الكتابة الهيروغليفية التى توجد على جدران المعابد والمقـابر والبرديات التى تعد بالآلاف بعد أن عجز الناس عن قراءتها منـذ القرن الرابع الميلادى الى القرن التاسع عشر .

انسحب الانجليز من مصر بعد جلاء الجيش الفرنسي ولكنهم عادوا فأرسلوا جيشـا بريطانيا بقيـادة الجنرال فريزر ونزلوا بالاسكندرية وهاجموا رشـيد وانزل بهم اهلها البواسل الهزيمة فرحلوا خائبين عام ١٨٠٧ .

نصب علماء مصر وأعيانها محمد على واليا على مصر ووافق سلطان تركيا على ذلك سنة ١٨٠٥ واستجاب الباب العالى لرغبة المصريين وتمكن الوالى الجديد من البقاء فى ولايته لذكائه ودهائه ودبر حيلة أباد بها طائفة كبيرة من كبار المماليك وقوادهم وطهـر البلاد من شرورهم ومظالمهم وسيطر محمد على واسرته على الحكم فى مصر بل حارب السلطان العثمانى وهزم جيوشه واحتل ابنـه ابراهيم الشام وكاد ان يصل الى اسلامبول عاصمة العثمانيين .

تمكن الانجليز سنة ١٨٨٢ من تحقيق حلمهم القديم باحتلال مصر لتامين طريقهم الى الهند اعظم جوهرة فى امبراطوريتهم المترامية الاطراف التى كانت الشمس لا تغرب عنها وظلوا بمصر يتحكمون فى ثرواتها ومصيرها الى أن يئسوا من خضـــوع المصريين لهم فجلت جيوشهم عنها سنة ١٩٥٦ ونالت البلاد استقلالها وتمتعت بحريتها.

أطاحت ثورة سنة ١٩٥٢ بأسرة محمد على بعد أن أرغمت فاروق على التنازل عن العرش لأبنه الطفل ومغادرته البـلاد قبل غروب شمس يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ . وبعد فترة قصيرة أعلنت الجمهورية المصرية العربية وابتهج الناس جميعـــا بسقوط فاروق الذى طغى وبغى وأضر بالمصلحة العامة للوطن العزيز ارضاء لمطامعه الشخصية وشهواته الشاذة .

فحمدا لله الذى نجا الكنانة ووقاها شر الطغاة العابثين .

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٣٦٠٧
الترقيم الدولى ١ – ٢٨ – ٢٩٦ – ٩٧٧ – ISBN



مطابع دار الشعب بالقاهرة

الثمن [illegible] قرشا